الإمام يوسف القرضاوي

الانفتاح على الغرب

مقتضيات وشروط

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية بعابدين القاهرة
ت ٢٣٩١٧٤٧٠ فاكس ٢٣٩٠٣٧٤٦

obeikandl.com

محاضرات الإمام يوسف القرضاوي
الانفتاح على الغرب
مقتضيات وشروط
الإمام يوسف القرضاوي
الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م
مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة
٤٤ صفحة ١٤ × ٢٠ سم
رقم الإيداع: ٢٠١١/٨٣٦٦
الترقيم الدولي: I.S.B.N.
977-225-305-4

تحذير

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة وهبة (للطباعة والنشر). غير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد إلكترونية، أو ميكانيكية، أو نقله بأي وسيلة أخرى، أو تصويره، أو تسجيله على أي نحو، بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر أو المؤلف.

All rights reserved to The Auther And Wahbah Publisher. No Part of this Publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permuission of the publisher And Auther.

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد
إدارة الشئون الفنية

القرضاوي. يوسف.
الانفتاح على الغرب: مقتضيات وشروط/ يوسف القرضاوي. ـ القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠١١
٤٤ ص: ١٤ سم
تدمك ٤ ٢٠٥ ٢٢٥ ٩٧٧
١- الاسلام والسياسة.
أ- العنوان.

٢١٤,٢٢

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع الصباسية - القاهرة ت ٢٤٨٣٧٨٥١

obeikan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الانفتاح على الغرب
مقتضيات وشروط [1]

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات ، الذي هدانا لهـذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا وإمامنا وحبيبنا وأسوتنا محمدًا عبد الله ورسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه ، واتَّبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته ، واهتدى بسُنَّته ، وجاهد جهاده إلى يوم الدين .

خير ما أحييكم به ـ أيها الأخوة والأخوات ـ تحية الإسلام ، وتحية الإسلام السلام ، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وإني لسعيد أن ألتقي بهذه الوجوه المشرقة بنور الإيمان واليقين في هذه الأمسية الطيبة المباركة ، وأسأل الله تعالى أن

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في لندن من العام ١٩٩٨م ، وافتتح القارئ محمد جبريل هذا اللقاء بتلاوة آيات من سورة آل عمران ، ولقد ألقيت هذه المحاضرة ارتجالا .

يجعل لقاءنا خالصا لوجهه ، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولوا الألباب.

أيها الأخوة والأخوات ، طلب إليَّ الإخوة أن أحدثكم في موضوع : (الانفتاح على الغرب ، مقتضياته وشروطه).

الإسلام دينٌ عالميٌّ :

أحبُّ أن أقول : إنَّ طبيعة الإسلام أنَّه دين مُنفتح ، ليس دينًا مغلقًا ، لا على الغرب ولا على الشرق ، طبيعة الإسلام أنَّه دين انتشاريٌّ ، دينٌ يُخاطب الناس كافَّة ، والعالَم كلَّه ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء:١٠٧) ، ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان:١)، ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾(الأعراف:١٥٨)، ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (يوسف:١٠٤) ، وهذا ثابت في القرآن المكِّيّ.

الآيات التي تحدَّثتْ عن عالمية الإسلام كلُّها آياتٌ مكيَّةٌ ، مما يدلُّ على أنَّ الإسلام من أول يوم يُعَرِّف وجْهَته ، ويُعَرِّف طريقه : أنَّه جاء للعالم كلِّه ، ولا يُفَرِّق الإسلام بين شرق وغرب ، لأنَّ الأرض كلَّها لله ، والكونَ كلَّه ملك الله عزَّ وجلَّ ، والله تعالى يقول : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ

﴿ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة:١١٥)، فلا يُفرِّق الإسلام بين الناس بسبب أوطانهم ، أو أقاليمهم من الناحية الجغرافية ، كما لا يفرِّق بين الناس بعضهم وبعض بالأسباب التي عرَفها الناس مُفرِّقة بين البشر ، كالعنصر أو اللون أو اللسان أو الطبقة ، فكلُّ هذه الأمور لا يعتبرها الإسلام في التفريق بين الناس بعضهم وبعض.

إنَّما ينظر الإسلام إلى الإنسان من حيثُ هو إنسان ، لا يعتبر هذه الأشياء التي اعتبرها الناس مُفرِّقات بين البشر إلا أنَّها آيةٌ من آيات الله ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ (الروم:٢٢).

تحفُّظاتٌ في التعامل مع الغرب :

من هنا نقول : نحن المسلمين ليس عندنا فرق بين غرب وشرق،وكل من الشرق والغرب جزء من مملكة الله الفسيحة، كما قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة:١١٥).

الأصل أنَّنا ننفتح على العالم كلِّه ، كلُّ ما في الأمر أنَّ بعض المسلمين قد يتحفَّظون من التعامل مع الغرب بسبب كثرة ما أساء الغرب إلى الإسلام ، ولعل ذلك من جرَّاء الصراعات الطويلة التي حدثت في الماضي ، نحن نعرف

الحروب الصليبية ، وما جرى فيها من دماءٍ سُفِكتْ ، ومن حُرُماتٍ انتُهِكتْ ، ومن مساجد دُمِّرتْ ، ومن بيوت أُحرقتْ ، ممَّا تشيب له الولدان ، وتقشعر من هوله الأبدان.

لكن هذا زمن قد مضى ، ثم جاء الاستعمار الغربي الحديث ، الذي احتلَّ ديار المسلمين ، لم يسلم منه إلا بلد أو بلدان ، وكلُّ بلاد المسلمين أصيبت بهذا الاستعمار ، وكانت التجربة قاسيةً ومريرةً ، وظلَّ الصراع دهرًا حتى تحرَّرتْ أوطان المسلمين من الاستعمار العسكري على الأقل ، وحمل الاستعمار عصاه ورحل عن أوطان الإسلام ، وإن كان يحاول الآن أن يعود إلى أوطان الإسلام بوجه جديد ، ولون جديد ، وسلاح جديد ، ليؤثِّر في الأوطان الإسلامية ، ويحاول أن يجرَّها إلى ما يريد.

فهذه العلاقات المتوترة خلال القرون هي التي جعلت بعض المسلمين يتحفَّظ من الانفتاح على الغرب ، ويرى في الغرب عدوًّا لدودًا ، وخصوصًا في الأزمنة الأخيرة ، حيث وقف الغرب ضدَّ قضايا المسلمين المختلفة ، كُلَّما وُجدتْ قضيةٌ إسلاميةٌ وجدنا الغرب يقف ضدَّها.

وأعظمها وأبرزها ولا شك قضية المسلمين المحورية ، قضية المسلمين الأولى : قضية فلسطين ، أرض النُّبُوَّات ،

وأرض المقدسات ، أرض المسجد الأقصى ، وجدنا الغرب يقف مع الصهيونية العالمية ، بل هو الذي زرع هذه الصهيونية ، ورعاها حتى وصلتْ إلى ما وصلتْ إليه ، حتى قامتْ إسرائيل ، وأعلن الغرب أنَّ إسرائيل خُلقتْ لتبقى ، ولا زال الغرب هو الذي يَمُدُّ إسرائيل إلى اليوم ، هذه المواقف جعلت بعض المسلمين يتحفَّظ على التعامل مع الغرب .

مقتضيات الانفتاح :

لكني أقول : رغم هذا كله فنحن بحكم ديننا ، وبمقتضى إيماننا بهذا الدين ، ننفتح على الغرب ، وننفتح على العالم جميعًا .

البشرية أسرة واحدة :

مقتضيات هذا أننا نعتقد أنَّ البشرية كلَّها أسرة واحدة ، هذه هي فلسفة الإسلام ، ينظر إلى البشريَّة باعتبارها أسرة آدمية ، جمع بينها عاملان أساسيان : العبودية لله ، والبُنُوَّة لآدم. « إنَّ ربكم واحد ، وإنَّ أباكم واحد » ، وهذا ما أعلنه رسول الإسلام ﷺ ، في أعظم مَحْفَل ، في حجَّة الوداع ، أمام الجموع الحاشدة ، حيث قال ﷺ : « يا أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على

عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر ، إلا بالتقوى ، إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم»[1].

العبودية لله ، والبُنُوَّة لآدم ، هما أساس هذه الأسرة البشرية المشتركة ، البشرية كلُّها أسرة واحدة في نظر الإسلام ، بِغَضِّ النظر عن لون الإنسان ، أبيض أو أسود أو أحمر ، بِغَضِّ النظر عن لون عينيه ، سوداء أو زرقاء أو خضراء ، بِغَضِّ النظر عن شعره ، أجعد أم ناعم ، فهذا كلُّه لا اعتبار له في نظر الإسلام.

الإسلام ينظر إلى البشريَّة هذه النظرة الإنسانيَّة ، ويعتبر أنَّ هناك أخوَّة إنسانية تجمع بين البشر ، وهذا ما رواه الإمام أحمد وأبو داود ، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كلِّ صلاة : «اللهم ربَّنا وربَّ كلِّ شيء ومليكه أنا شهيد أنك الله وحدك لا شريك لك ، اللهم ربَّنا وربَّ كلِّ شيء ومليكه أنا شهيد أن محمدًا عبدك ورسولك وأن العباد

---

(١) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرجوه : إسناده صحيح ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤١١/٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٠٠)، عن من سمع خطبة النبي ﷺ.

كلَّهم إخوة»[1]. هكذا أعلن رسول الإسلام محمدٌ ﷺ هذه الشهادات الثلاث ، شهادةٌ لله بالوحدانية ، وشهادةٌ لمحمدٍ ﷺ بالعبودية والرسالة ، وشهادةٌ للبشر بأنَّهم كلَّهم إخوةٌ ، هذه أُخُوَّة عامَّة.

الأُخوَّةُ الوطنيَّة والقوميَّة والإنسانيَّة :

بعض المتدينين يقول : كيف هذا ؟ والله تعالى يقول : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات:١٠)، والنبيُّ ﷺ يقول : «المسلم أخو المسلم»[2].

ونقول : هذا صحيحٌ ، هناك أُخُوَّة دينيةٌ ، وهي أخصُّ الأُخوَّات وأعْمقُها ، ولكن هناك أكثر من أُخُوَّة ، هناك أخوة وطنية ، وأخوة قومية ، وأخوة بشرية ، وحينما كنتُ أقول :

---

(١) رواه أحمد (١٩٢٩٣)، وقال مخرجوه : إسناده ضعيف لضعف داود الطفاوي، وأبو داود في الصلاة (١٥٠٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٧٣/١)، والنسائي في الكبرى ، في عمل اليوم والليلة (٩٨٤٩)، والطبراني في الكبير (٢١٠/٥)، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٣٢٥)، عن زيد بن أرقم .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، كما رواه أبو داود في الأدب (٤٨٩٣)، والترمذي في الحدود (١٤٢٦)، عن عبد الله بن عمر .

إخواننا الأقباط ، اعترض عليَّ بعض الإخْوة المتشددين وقال : كيف تقول إخواننا الأقباط؟

قلتُ له : يا أخي هم إخواننا في الوطن ، فنحن كمِصريِّين إخوةٌ في الوطن ، أو إخوةٌ في القوميَّة ، والله تعالى يقول : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (الشعراء:١٠٥،١٠٦).

ويقول : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ ﴾ (الشعراء:١٢٣،١٢٤).

ويقول : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ ﴾ (الشعراء:١٤١،١٤٢).

ويقول : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ ﴾ (الشعراء:١٦٠،١٦١)، كيف يكون أخاهم وقد كذَّبوه ، وكفروا به ، وجحدوا برسالته؟ هو أخوهم لأنَّه منهم ، من قومهم ، لذلك يقول : يا قوم ، كما قال مؤمن آل فرعون : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ ﴾ (غافر:٣٨،٣٩)، ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ ﴾ (غافر:٤١) ، هم قومه ، هو منهم وهم منه ، فهذه أُخُوَّة قومية .

وحين ذكر القرآن شعيبًا في سورة الشعراء قال : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (الشعراء:١٧٦،١٧٧)، ولم يقل : (إذ قال لهم أخوهم شعيب) ، لم يذكر أخوته لهم ، لأنه ليس منهم . بل كان من مدين ، ولذا قال في مقام آخر : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ (الأعراف:٨٥)، فهو أخوهم لأنه منهم.

وهناك أيضا أُخُوَّة بشرية. قام رجل إلى معاوية ، فقال له : سألتُك بالرحم الذي بيني وبينك. فقال : أمن قريش أنت ؟ قال : لا . قال : أفمن سائر العرب ؟ قال : لا . قال : فأيَّة رحم بيني وبينك ؟ قال : رحم آدم ! قال : رحم مجفوَّة ، والله لأكونن أول مَن وصلها. ثم قضى حاجته[1].

ومن هنا أنا أقول : نحن ينبغي أن ننفتح على العالم ، وأول مقتضيات هذا الانفتاح ، وحدة الأصل البشري ، فالبشر جميعًا أسرة واحدة.

التعارف لا بد منه بين الشعوب والقبائل المختلفة :

ومن ناحية ثانية : ما دام البشر جميعًا أسرة واحدة ، فالتعارف واجبٌ بينهم ، وهذا ما أعلنه القرآن الكريم بصراحة حينما قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ

---

(١) رواه أبو علي القالي في أماليه (١/٢٠١، ٢٠٢).

﴿ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ (الحجرات:١٣)، لا لتناكروا ، فالتعارف لا بدَّ منه بين شعوب وقبائل البشر المختلفة ، وإذا تعارفوا تفاهموا وتقاربوا .

الإسلام دعوة عالمية :

ومن ناحية ثالثة : فإن الإسلام دعوة عالمية ، جاء يدعو الناس كافة ، معروفٌ أنَّ اليهودية دينٌ منغلقٌ على أهله ، ولكنَّ الإسلام جاء دعوةً عالميَّةً للعالم كلِّه ، وكما قلتُ لكم : الإسلامُ من أول يوم جاء يعلن العالميَّة للدعوة ، وفي أول فرصة أتيحت للنبيِّ ﷺ دعا ملوك العالم وأمراءها ، دعا كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس في مصر وأمراء الشام ، وغير هؤلاء ، دعاهم إلى الإسلام ، وكان يختم رسائله إلى أهل الكتاب منهم بهذه الآية الكريمة : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾

(آل عمران:٦٤).

الإسلام حرَّر البشر من العبوديَّة لغير اللَّه :

دعوة تحرير البشر من العبودية لغير الله ، ومن عبودية الإنسان للإنسان : ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران:٦٤) ، فلا يجوز أن يُعبِّد الناسُ أنفسَهم

لغير الله ، لا لأهل الدنيا ، ولا لأهل الدين ، لا للملوك والكبراء ، ولا للأحبار والرهبان ، وقد عاب الله على أهل الكتاب أنَّهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، قال تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا ﴾

(التوبة: ٣١).

عن عدي بن حاتم قال : انتهيت الى النبي ﷺ وهو يقرأ سورة براءة ، فقرأ هذه الآية : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة: ٣١) ، حتى فرغ منها فقلت : إنا لسنا نعبدهم ! فقال : « أليس يحرمون ما أحلَّ الله فتحرِّمونه ، ويحلُّون ما حرَّم الله فتستحلُّونه؟ ». قلتُ : بلى. قال : « فتلك عبادتهم »[1].

المسلمون مسؤولون عن ضلال الأمم :

جاء الإسلام دعوةً عامةً عالميةً ، والمسلمون مطالبون بأن يدعوا العالم كلَّه ، وأنا أعتقد أنَّ ضلال كثير من الأمم سيُسأل عنه المسلمون أمام الله تعالى يوم القيامة ، لأنَّهم لم يبلِّغوا

---

(١) رواه الترمذي في التفسير (٣٠٩٥) وقال : غريب، والطبراني (٩٢/١٧)، والبيهقي في آداب القاضي (١١٦/١٠) ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٩٣).

رسالة الإسلام ، هناك مئات الملايين في العالم لا يعرفون عن الإسلام شيئا ، يعيشون ويموتون ولم يعرفوا شيئا عن الإسلام ، وهناك مئات أخرى تعرف عن الإسلام خلاف ما يدعو إليه ، كلُّ ما عندهم عن الإسلام صور شائهة. وهؤلاء معذورون ؛ لأنهم لم تبلغهم دعوة الإسلام بلوغًا مشوِّقًا ، يحمل على البحث والنظر وراء هذه الدعوة. فنحن بحكم دعوتنا العالمية مطالَبون بأن ننفتح على الغرب ، لندعوه ونقترب منه ، إذا أغلقنا الجسور بيننا وبينه لم تحدث دعوة ، فالدعوة نتيجة الانفتاح ، لذلك لا بدَّ أن ننفتح على الغرب كما ننفتح على غيره.

المسلمون مطالبون بالحوار :

ومن ناحية رابعة : نحن المسلمين مأمورون بالحوار ، وليس بأيِّ حوار ، بل الحوار بالحسنى ، هذا فرض فرضه الله تعالى علينا ، القرآن الكريم يعبِّر عنه بعبارة : (الجدال بالتي هي أحسن) ، يقول الله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل:١٢٥) ، ما معنى بالتي هي أحسن؟ يعني بالطريقة التي هي أفضل الطرق وأجودها وأقربها للوصول إلى العقول والقلوب ، فإذا كانت هناك طريقتان في الجدال والحوار ، طريقة حسنة جيِّدة ،

وطريقة أحسن منها وأجود ، فنحن مطالبون بأن نحاور بالطريقة التي هي أحسن وأجود.

خطاب القرآن للمشركين :

القرآن الكريم يذكر لنا نماذج من الحوار ، حتى مع المشركين ، يقول الله تعالى مُعلِّمًا النبيَّ ﷺ أن يخاطب المشركين بقوله : ﴿ **وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ** ﴾ (سبأ:٢٤) ، أي لا بدَّ أنَّ أحد الفريقين على هُدى ، نحن أو أنتم على هُدى أو في ضلال ، لم يُشكِّكْه في أنه على الهُدى ، ولكن يريد أن يُقرِّب هؤلاء ، يُرخي لهم العِنان ، حتى يقتربوا من الإسلام ، ﴿ **وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ** ﴾ .

وبعدها يقول : ﴿ **قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ (سبأ:٢٥) ، كان مقتضى المقابلة أن يقول : قل لا تسألون عمَّا أجرمنا ولا نُسأل عمَّا تُجرمون ، ولكن نَسَبَ الإجرام إلى نفسه ، ولم يرضَ أن ينسُب الإجرام إليهم ، حتى لا يوغر صدورهم ، وحتى يقرِّب قلوبهم ويؤنسهم بالإسلام ، ﴿ **قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ .

فهذا هو الجدال بالتي هي أحسن ، هذا هو الحوار ، نحن

مطالَبون أن نحاور العالم، بأرقِّ الأساليب وألطفها ما استطعنا، والعجيب أن الله يقول في دعوة المسلمين : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ (النحل:١٢٥) ، اكتفى في الموعظة أن تكون حسنة ، ولم يكتفِ في الجدال إلا بأن يكون بالتي هي أحسن ، لماذا ؟ لأن الموعظة مع الموافقين ، والجدال مع المخالفين ، هذا أيضًا من الأمور المطلوبة مع غير المسلمين .

نظرةٌ خاصَّةٌ لأهل الكتاب :

من ناحية خامسة : نحن نعلم أنَّ لأهل الكتاب منزلةً خاصَّةً في الإسلام ، والقرآن يخاطبهم بهذا العنوان الرقيق النَّدِي : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (آل عمران:٦٤) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾(النساء:٤٧)، يُذكِّرهم بأنَّهم أصحاب كتاب سماوي، أنهم ليسوا غريبين ولا بعيدين عن المسلمين ، المسلمون هم أهل القرآن. وأهل التوراة ، صحيح أنهم حرَّفُوا وبدَّلوا ، لكن يبقى لهم أصل سماوي ، ولهذا أباح مؤاكلتهم وأباح مُصاهرتهم ، قال تعالى : ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (المائدة:٥).

obeikandl.com

فأجاز أن نأكل من ذبائحهم، وأن نصاهرهم ـ نتزوَّج منهم ـ فأيُّ سماحة أفضل من هذا وأعلى وأعمق؟ أن يتزوَّج المسلم من امرأة من غير دينه، تكون زوجته، وأمَّ أولاده، وربَّة بيته، وشريكة حياته، وموضع سرِّه، كما عبَّر القرآن عن ذلك بقوله: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ (البقرة:١٨٧)، وقوله: ﴿ لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (الروم:٢١)، ويكون آباؤها أجدادًا لأولاده، وأمهاتها جدَّاتٍ، وإخوانها أخوالا، وأخواتها خالاتٍ معنى ذلك: أنَّه قامت مصاهرةٌ وروابطُ مشتركةٌ، وهي عملية تعد غاية وقمة في التسامح، فأهل الكتاب لهم هذه النظرة الخاصَّة.

حزن المسلمين عند انهزام الروم:

في أوائلِ الإسلام، وفي فجر الدعوة الإسلامية كان المسلمون قِلة في مكة، ولكنهم كانوا يتابعون أحداث العالم، وما كانوا بمعزل عمَّا يجري حولهم في أركان الدنيا، فقد قام صراع بين الدولتين الكبريين في العالم في ذلك الوقت، الدولة الشرقية دولة الفرس في إيران، والدولة الغربية دولة الروم البيزنطية، فلو كان الأمر أمر إقليم فقط فالفرس أقرب إلى العرب، وإيران أقرب، فليس بينها وبين العرب غير الخليج فقط، لكن الفرس كانوا مجوسا يعبدون النار، والروم كانوا نصارى أهلَ كتاب.

لهذا حزن المسلمون حينما انتصر الفرس على الروم ، وفرح المشركون ، وقامت معركة جدلية بين الفريقين ، حول : لمن يكون المستقبل ؟ من المنتصر في النهاية . الفرس أو الروم؟ المسلمون يقولون : الروم ، والمشركون يقولون : الفرس. حتى قالوا للرسول : اجعل بيننا وبينك أجلا ، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا ، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا[1] ، ونزلت آيات من أوائل سورة الروم ، يقول الله تعالى : ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝١ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِ ﴾ (الروم:٢-٥)، ففرح المسلمون حينما انتصر الروم النصارى بعد ذلك على الفرس المجوس .

ضرورة التعايش بين الناس في عصر التقارب :

كذلك في عصرنا حدث تقاربٌ في العالم ، نحن في عصر التقارب ، خصوصًا بعد ثورة الاتصالات ، قديمًا قال أحد

---

(١) رواه أحمد (٢٤٩٥) وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين ، والترمذي في التفسير (٣١٩٣) وقال: حسن غريب ، والحاكم في التفسير (٤١٠/٢): وصححه على شرطهما ، ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في السلسلة الضعيفة تحت حديث رقم (٣٣٥٤) ، عن ابن عباس.

الشعراء البريطانيين (كبلنج) : الشرق شرقٌ والغرب غربٌ ، ولن يلتقيا. نحن ليس عندنا هذا الأمر ، ثم جاء مَن يقول : العالم أصبح قريتنا الكبرى ، للتواصل الجغرافي ، ووسائل المواصلات والاتصالات الحديثة .

وأنا أقول : العالم لم يَعُد قريةً كبرى ، بل أصبح قريةً صغرى. القرية الكبرى لا يدري الناس في شرقها بما يدور في غربها ، أمَّا الآن فنحن نعلم ما يحدث في العالم بعد لحظات ، وأحيانًا نتابع الأحداث وهي تحدث في التوِّ واللحظة ، نتابعها على التلفاز ، فالعالم أصبح قرية صغرى ، وهذا يوجب على الناس أن يحسنوا التعايش فيما بينهم ، والتعايش ضروريٌّ ؛ لأنه لم يعُد أحدٌ يستغني عن أحد .

هنا في بريطانيا كثير من العرب ومن المسلمين ، من أهل الشرق الذين جاءوا للدراسة ، والذين جاءوا للعلاج ، والذين جاءوا فراراً من الاضطهاد في بلادهم ، والذين جاءوا للعمل ، والذين جاؤوا للسياحة ، والذين جاءوا لغير ذلك ، وفي كلِّ بلد من بلدان العالم ، فما عاد هناك إمكانية للانعزال ، مَن يُفكِّر في العُزْلة فهو يُفكِّر تفكيراً غير إيجابي ، وغير سليم ، وغير بنَّاء ، وغير واقعي .

لا بدَّ للعالم أن يتعايش بعضه مع بعض ، وهذا ما رأيناه في السنوات الأخيرة ، تابعنا الصراع الذي كان بين الكُتْلة الغربية بزعامة الولايات المتحدة ، والكُتْلة الشرقيّة بزعامة روسيا ، وظلَّ هذا الصِّراع طويلاً ، ثم قالوا : لا بدَّ من شيء سمَّوْه سياسةَ الوِفاق ، ثم بعد ذلك سياسة التعايش السِّلْمي . وهكذا اقتضت ضرورات الحياة أن يتعايش الناس بعضهم مع بعض ، ونحن المسلمين ليس عندنا في ديننا ما يمنعنا من أن نُعايش الآخرين ما داموا يقِرُّون بحقِّنا في الحياة آدميين ومسلمين.

شروط الانفتاح :

هنا نذكر الشروط ، فالإخوة طلبوا أن أتحدَّث عن الانفتاح على الغرب ، مقْتضياتٍ وشروطًا ، تحدَّثنا عن مقتضيات الانفتاح ، فلا بدَّ أن نتحدَّث عن شروط الانفتاح ، وهي في الحقيقة شروط ليست لإيجاد الانفتاح ، ولكنها شروط لنجاح الانفتاح،لينجح الانفتاح بيننا وبين الغرب لا بدَّ من عدَّة أمور:

أولا : أن يتخلَّى الغرب عن عداوته للإسلام :

أن يتخلَّى الغرب عن عداوته لنا ، الغرب ـ للأسف ـ تحكمه أحقادٌ قديمةٌ ، ومخاوفُ جديدةٌ بالنسبة لنا ، الأحقاد الصليبية لا زالت تحكم الغرب ، وهذه أحيانا يكتمها

السياسيون ويعبِّر عنها العسكريون ، كما قال العسكريون في حرب البوسنة : نحن فرسان الصليب .

وحينما دخل القائد الإنجليزي (اللمبي) سنة ١٩١٧م القدس ، قال كلمته الشهيرة : اليوم انتهت الحروب الصليبية[١]!

وحينما دخل القائد الفرنسي (غورو) إلى دمشق ، ووقف عند قبر صلاح الدين الأيوبي ، وقال بشماتة : ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين[٢].

هذه الروح للأسف لا تزال موجودةً عند كثير من الغربيين.

مخاوف الغرب من صحوة الإسلام :

ثم أضيف إلى ذلك : المخاوف من صحوة الإسلام ، ومن نهضة الأمة الإسلامية ، الغربيُّون يرحِّبون بنهضات وصحوات الأمم المختلفة ، إلا بالصحوة الإسلاميّة ، يخافون من صحوة الإسلام ، وأنتم تعلمون ما كُتِبَ خلال السنوات الماضية ، خصوصًا بعد سقوط الاتحاد السوفيتي ، وكان الاتحاد السوفيتي يُمثِّل دولة الشرِّ كما قال (ريجان) ، أرادوا أن يبحثوا عن عدوٍ جديدٍ يُعبِّئون المشاعر ضدَّه ، ويَحشُدون الناس في مقاومته ، فلم يجدوا عدوًّا إلا الإسلام .

---

(١) أبعاد في المواجهة العربية الإسرائيلية ص ٢٨٠.

(٢) دور نور الدين محمود في نهضة الأمة ص ٢٢٢.

فكان الإسلام العدوَّ المُرشَّح ليحَلَّ محل دولة الشرِّ كما سمَّوْها ، سمَّوْا الإسلام (الخطر الإسلامي) أو (الخطر الأخضر) ، وكُتبتْ في ذلك الكتب ، وكتب صاحب كتاب (صراع الحضارات) ، أنَّ الحضارات لا بدَّ أن تتصادم ، وذكر ثماني حضارات ، ولكن خصَّ منها الصِدَام بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية ، والحضارة الصينية ، أو (الكنفوشيوسية) ، وقال : إن الصراع لا بد أن يحدث بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية .

حوار الحضارات لا صراع الحضارات :

لماذا ؟ لماذا لا يكون كما قال (جارودي) : حوار الحضارات ، وليس صدام الحضارات ، ولا صراع الحضارات؟

وهل هو صراع فِكريٌّ ثقافيٌّ؟ أم صراع عسكريٌّ سياسيٌّ؟ إن كان صراع فكر لفكر ، فلا مانع من هذا ، فنحن نرحِّب بأيِّ صراع فكري ، وكلُّ إنسان يُدْلي بما عنده ، ويقيم حجَّته ، أمَّا إذا كان الصراع تتدخل فيه القوَّة ، وغرور القوَّة ، وفرض الحضارة على الآخرين بالقوَّة المادية ، وبالسلاح القهري ، فهذا ما نرفضه .

الخطر الأخضر :

لقد سموا الإسلام : (الخطر الأخضر) ، لأنه بعد أن زال (الخطر الأحمر) بانهيار الاتحاد السوفيتي ، وتقاربوا مع

(الخطر الأصفر) ، الخطر الصيني ، لم يبقَ إلا (الخطر الأخضر) كما سمَّوْه ، ويَعنون به الخطر الإسلامي .

ونحن نقول : الإسلام ليس خطرًا ، الإسلام رحمة الله للعالمين ، الإسلام خطر على المادية والإلحاد ، وخطر على الظلم والاستعباد ، وخطر على الإباحيَّة والفساد ، ولكنه ليس خطرًا على الإنسانيَّة ، وليس خطرًا على القيم والفضائل ، وليس خطرا على العدالة والحرية وحقوق الإنسان .

نحن نريد من الغرب إذا كان يريد أن ننفتح عليه انفتاح الندِّ للندِّ ، وأن نتعاون معا لبناء مستقبل جديد للبشرية ، نتعاون فيه على البرِّ والتقوى لا على الإثم والعدوان ، فأول ما نشترط : أن يتخلَّى عن عداوته لنا ، عداوته التي تُحرِّكها الأحقاد القديمة ، والمخاوف الجديدة .

ثانيا : أن يتخلَّى الغرب عن أطماعه فينا :

ونريد من الغرب أيضًا أن يتخلَّى عن أطماعه فينا ، فقد انتهى عصر الاستعمار ، يكفي الغرب ما نهب من ثرواتنا ، وما أخذ من بلادنا ، ولنبدأ صفحة جديدة ، لو طالبْنا الغرب بما أخذه من بلادنا لأفلس ، ولكننا لا نطالبه ، ما فات مات ، إنما نبدأ صفحة جديدة ، فليتخلَّ الغرب عن أطماعه في ثرواتنا ، الغرب يريد أن يأخذ ثرواتنا بأرخص الأثمان ، ثم يصنِّعها ويعيدها إلينا ليبيعها لنا بأغلى الأثمان .

الغرب يريد أن يأخذ (البترول) ، هذه الثروة التي يملكها العرب والمسلمون ، بأقل ما يمكن ، ثم يصنِّعها ويعيدها ليبيعها لنا بأغلى ما يمكن. فهل هذا عدل ؟

نحن نريد من الغرب إذا كنا نريد أن ينفتح بعضنا على بعض ، أن يكون عادلا في تعامله الاقتصادي معنا .

ثالثا : أن يتخلَّى الغرب عن استعلائه علينا :

من ناحية أخرى ، نريد من الغرب أن يتخلَّى عن استعلائه علينا ، الغرب ينظر إلى نفسه أنَّه سيِّد العالم ، حتى التاريخ يريد الغرب أن يُقسِّمه ويُصنِّفه على أساس غربي (العصور القديمة ، والعصور الوسطى ـ عصور الظلام ـ والعصور الحديثة) ، ويجعلنا نحن في العصور الوسطى ، العصور الذهبية الإسلامية التي أقامت حضارة شامخة ، جمعتْ بين العلم والإيمان ، وبين الرُقي الحضاري والسُمُوِّ الأخلاقي ، ومَزَجَتْ بين الرُّوح والمادة ، وربطتْ الأرض بالسماء ، هذه الفترة الذهبية أدخلوها في القرون الوسطى قرون الظلام .

نريد من الغرب أن يتخلَّى عن النظرة الاستعلائية التي كانت عند الرومان قديمًا ، حينما قسَّموا العالم إلى (رومان ، وبرابرة) ، كلُّ مَن عدا الرومان هم برابرة ومتوحِّشون ، هذا لا يجوز ، فهناك أناس لهم حضارات ، وأناس لهم رسالات ،

وأناس لهم فلسفات ، وأناس لهم تاريخ ، وتاريخ عريق كالأمة الإسلامية ، فالأمة الإسلامية هذه ليست أمة عائمة ، أو قريبة من القاع ، أو سطحية الجذور ، لا ، إنها أمة عميقة الجذور ، في أرضها نبتت الرسالات ، ونشأت الحضارات ، وقامت الإمبراطوريات .

من حَقِّنا أن نُحقِّق ذاتيتنا في أرضنا ، ولكنَّ الغرب لا يريد لنا أن نُقيم إسلامنا ورسالتنا الإسلامية ، حتى على أرضنا الإسلامية ، ويُزْعجه هذا ويُقْلقه جدًّا ، ما الذي يُزعجكم ويُقلقكم ـ أيها الغربيون ـ من أن يُحكِّم المسلمون إسلامهم على أبنائهم وبناتهم في ديارهم وأوطانهم؟

ليس من الخير أن يَحْكُم المتحلِّلون بلاد الإسلام :

أنا أقول لهم : ليس من العدل ، وليس من الخير ، وليس من النافع ، ولا من المصلحة : أن يَحْكم اللادينيُّون والمُلْحدون والمُتَحَلِّلُون بلاد الإسلام. بل إنَّ من المصلحة أن يَحْكم بلادَ الإسلام أهلُ الدين والقِيَم والأخلاق والفضائل ، ومن مصلحة الغرب أن يتعاملوا مع أُناس يحترمون عهودهم ومواثيقهم ، ويتعاملون مع البشر بأخلاقيَّات ومبادئ ، فهم أُناس يُقَدِّرون القيم والأخلاق ، رسالتهم رسالة أخلاقيَّة .

وليس من مصلحة الغرب ، ولا من مصلحة العالم كله : أن يتعامل مع أناس إذا حدثوا كذبوا ، وإذا وعدوا أخلفوا ، وإذا ائتمنوا خانوا ، وإذا عاهدوا غدروا ، وإذا خاصموا فجروا .

رابعا : الاعتراف برسالتنا وذاتيَّتنا :

نريد من الغرب أن يعترف برسالتنا وذاتيتنا وهُويَّتنا ، أن يعترف أنَّنا أصحاب هُويَّة متميِّزة ، من حقِّنا أن نعيش بها ، وأن نعيش لها ، وأن نموتَ عليها ، وما الذي يضرُّه في هذا ؟ نريد من الغرب ، أن يعترف بحقوقنا ، ولا يقف ضدَّنا ، ولا يُمالئ علينا أعداءنا ، كما فعل مع الصهيونية الإسرائيلية ولا زال يفعل إلى اليوم ، وكما نراه في كل قضيَّة ، كقضيَّة البوسنة والهرسك ، وفي قضية كوسوفو. لو كان ما يقع للمسلمين يقع لبلد غير إسلامي لخفَّ الغرب لنُصْرته ، وسارع إلى نجدته ، وأنقذ المستضعفين ، ووقف ضدَّ المعتدين ، ولكنَّه لا يفعل ذلك بالنسبة للمسلمين .

التسامح اختراع إسلامي :

نحن نطالب الغرب إذا كان يريد أن نعيش معًا في أسرةٍ بشريَّةٍ متعاونةٍ متسامِحةٍ ، ونحن دعاة التسامح ، كان شيخنا (الشيخ محمد الغزالي) ، رحمه الله يقول : التسامح هذا هو اختراع إسلامي. فالمسلمون هم الذين اخترعوا التسامح ، لم

يُعرَف التسامح إلا عند المسلمين ، فنحن دعاة التسامح ، لسنا متعصِّبين كما يحاولون أن يصوِّرونا ، وإذا شُوهد بعض المسلمين المتعصِّبين فمعظم هذا التعصُّب دفع إليه تعسُّف الغرب وظلمه ، ووقوفه ضدَّ قضايانا باستمرار ، ولو أنصف الغرب ما وُجد هذا التعصُّب .

أساس التسامح عند المسلمين :

نحن متسامحون ، والتسامح قضيةٌ أساسيةٌ عندنا ، لأنَّها تقوم على عدَّة أسس :

اختلاف الناس :

أنَّ الله خلق الناس مختلفين ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (هود:١١٨،١١٩)، فمَن يريد أن يجمع الناس على دين واحد ، أو مذهب واحد ، كأنَّه يريد أن يقف ضدَّ المشيئة الإلهيَّة .

الله يحكم بين الناس في الآخرة :

ثم إنَّ اختلاف الناس في هذه الدنيا ، لا يحاسَب الناسُ عليه في هذه الدنيا ، إنما يحاسَبون عليه في الآخرة ، والذي يحاسبهم هو الله عزَّ وجلَّ ، يقول الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ

بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ (الشورى:١٥)، ويقول : ﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (الحج:٦٨،٦٩).

مكانة الإنسان في الإسلام :

من ناحية أخرى ، الإسلام يحترم كلَّ إنسان من حيث هو إنسان ، بِغَضِّ النظر عن دينه أيًّا كان ، فقد روى البخاري أنَّ النبيَّ ﷺ ، مروا عليه بجنازة فقام لها واقفًا ، فقالوا : يا رسول الله ، إنها جنازة يهودي . فقال ﷺ : « أليستْ نَفْسًا؟! ».[1] بلى إنها نفسٌ ، ولكلِّ نفسٍ في الإسلام حرمةٌ ومكانةٌ ، فما أروع الموقف ، وما أروع تعليله وتعليقه ﷺ .

الإسلام جاء بالعدل لكل الناس :

ثم إن الإسلام جاء بالعدل لكلِّ الناس ، العدل مع مَن تُحب ومع مَن تكره ، يقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ (النساء:١٣٥) ، وفي المقابل يقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣١٢) ، ومسلم (٩٦١) كلاهما في الجنائز ، كما رواه أحمد (٢٣٨٤٢)، والنسائي في الجنائز (١٩٢١) ، سهل بن حنيف .

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة:٨).

هذا هو الذي جاء به الإسلام ، فهو دين العدل ، ودين الرحمة ، ودين التسامح ، فنحن نريد أن نتعامل مع الغرب بهذه الرُّوح المتسامحة المتفاهمة المتعاونة ، التي لا تعرف التعسُّف ، ولا تعرف الظلم ، ولا تعرف الاغتصاب ، ولا تعرف الاستعلاء على الآخرين ، وإنما تتعامل بروحٍ إنسانيَّةٍ عاليةٍ ، ومن أُفُقٍ رَحْبٍ واسع ، وهذا ما ندعو إليه الغرب ، وندعو إليه البشريَّة جمعاء في مشارق الأرض ومغاربها .

أكتفي بهذا القدر ـ أيها الإخوة ـ لندعَ الفرصةَ لأسئلتكم إن شاء الله ، عسى أن تُجلِّي بعض ما غمض في هذه الكلمات ، أسأل الله تعالى أن يوفِّقنا لما يحبُّ ويرضى ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم ، وصلى الله على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأسئلة

موقف الإسلام من الكفَّار :

السؤال : لقد التبس عليَّ بعد محاضرتكم هذه معنى قول الله تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (البقرة:١٢٠) ، وقول الله عزَّ وجلَّ على لسان خليله إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ (الممتحنة:٤).

فهل هذا يعني أنَّه يمكن التسامح مع أهل الكتاب ، مع عدم نسخ هذه الآيات ؟ ثم هل يجوز للعالِم أو حتى لخليفة المسلمين أن يتسامح مع الذين قاموا بالمذابح في البوسنة والهرسك وكوسوفو والبلاد الإسلامية الأخرى؟

الجواب : نحن لا نطمع في أن يرضى عنا اليهود والنصارى ، لأنَّ هذا غير ممكن أن يرضوْا عنَّا رضًا كاملاً ، كما قال القرآن : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (البقرة:١٢٠) ، ولكن ـ أيها الإخوة ـ لا بُدَّ أن نأخذ النصوص متكاملة ، النصوص بعضها مع بعض ، ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء:٨٢).

فالقرآن الذي قال على لسان إبراهيم الذي قال لقومه هو ومن معه : ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (الممتحنة:٤)، قال في نفس السورة التي ذكرتْ كلام الخليل إبراهيم ، والتي نهتْ في أوَّلها وآخرها عن موالاة غير المسلمين ، في نفس السورة هذه ، جاء هذا الدُستور في العلاقات مع غير المسلمين ، كما حدَّدته هاتان الآيتان ، حيث يقول الله تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (الممتحنة:٨،٩).

من الكفار مسالمون ومنهم محاربون :

فهناك أُناس تَحْرم موالاتهم ، وتجب البراءة منهم ، وإظهار العداوة والبغضاء لهم ، وهم الذين قاتلوا المسلمين في الدين ، أو أخرجوهم من ديارهم ، أو ظاهروا على إخراجهم ، وهناك آخرون مسالمون للمسلمين ، وهؤلاء لم ينهنا الله أن نبرَّهم ونقسط إليهم .

والقسط هو العدل ، والبِرُّ هو الفضل والإحسان ، والقسط أن تُعطيهم الحقَّ ، والإحسانُ أن تُعطيهم فوق الحقِّ ، القسط

أو العدل أن تأخذ حقَّك ، والبرُّ أو الفضل والإحسان أن تتنازل عن بعض حقِّك ، فالله لم ينهنا عن القسط إليهم ، ولا عن البرِّ بهم.

والله تعالى قد اختار كلمة (البِرِّ) في قوله : ﴿ أَن تَبَرُّوهُمْ ﴾ (الممتحنة:٨) ، وهي الكلمة التي جعلها الإسلام لأعظم حقٍّ بعد حقوق الله ، وهو حقُّ الوالدين ، المعبِّر عنه بكلمة (برُّ الوالدين) ، فلا بدَّ أن نأخذ النصوص بعضها مع بعض ، حتى نُحْسِن الفهم عن الله تعالى ورسوله ﷺ.

فالذين أمرنا أن نبغضهم ونبرأ منهم ، ولا نتخذهم أولياء ، هم الذين يعادوننا ، بل يقاتلوننا في الدين ، ويخرجونا من ديارنا ، كما نطق بذلك أول السورة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (الممتحنة:١) ومع هذا لم يجعل هذه العواطف مؤبدة ، بل هي أمر قابل للتغيير ، فكم من عداوة تحولت إلى مودة ، كما قال تعالى : ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الممتحنة:٧).

وجوب اكتفاء الأمة الإسلامية ذاتيًّا :

السؤال : أليس من العار والمهانة لنا نحن المسلمين : أن نطلب مساعداتٍ من الغرب ؟ فكيف نستطيع أن نتغلَّب على مشاكلنا؟ وما هو رأي فضيلتكم في ذلك ؟

الجواب : من المؤسف حقًّا أن يكون المسلمون من الضعف بحيث يطلبون المساعدة من غيرهم ، ولو كان المسلمون مسلمين حقًّا ، لكان عندهم اكتفاء ذاتي ، المفروض أن الأمة الإسلامية تكتفي ذاتيًّا ، وتكون قادرةً على أن تَسدَّ حاجاتها بنفسها ، ولكن للأسف نحن عالة على غيرنا ، في كلِّ المجالات ، في الزراعة وفي الصناعة ، البلاد الإسلامية بلاد زراعية ، ومع هذا معظم بلاد المسلمين تستورد أكثر من نصف أقواتها ، ومن ناحية الصناعة فنحن عاجزون حتى عن صناعة أسلحتنا ، بل نأتي بها من غيرنا .

أُمَّةُ سورةِ الحديد لا تُحْسِنُ صناعة الحديد :

الله تعالى ذكر في القرآن سورة سمَّاها سورة (الحديد) ، وفيها يقول الله تعالى : ﴿ **وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ** ﴾ (الحديد:٢٥) ، فكلمة : ﴿ **فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ** ﴾ إشارة إلى الصناعات الحربية ، وكلمة : ﴿ **وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ** ﴾ إشارة إلى الصناعات المدنية ، ولكننا للأسف لم نتقن هذه ولا تلك .

لا الصناعات الحربية ، ولا الصناعات المدنية ، وأصبحنا عالةً على غيرنا ، بعض البلاد إذا كفَّ الغرب يده عنهم يموت من الجوع ؛ لأنه لا يجد الأقوات الكافية له ، ويموت من الذلِّ ؛ لأنه لا يملك السلاح ، ولا يصنع السلاح .

وجوب تكافل المسلمين فيما بينهم :

المفروض أن الأمة الإسلامية تتكامل فيما بينها ، كما قال النبيُّ ﷺ :« المسلمون تتكافأ دماؤهم ، يسعى بذمَّتهم أدناهم ، ويُجير عليهم أقصاهم ، وهم يد على من سواهم »[1]. فهم أمةٌ واحدة ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:٩٢).

أمة واحدة تتضامُّ وتتكافل فيما بينها ، حتى تكون أمة قوية ، وعندها مُقوِّمات السيادة من الناحية المادية ، ومن الناحية البشرية ، فنحن نزيد على المليار وثلث المليار من البشر ، وعندنا العمق الحضاري .

فنحن أمة الحضارات ، وعندنا الرسالة الرُّوحية ، وعندنا

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٦٦٧٥)، وقال مخرجوه: صحيح، وهذا إسناد حسن، ورواه أبو داود في الجهاد (٢٧٥١) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٩٠)، عن عبد الله بن عمرو.

كلُّ مقوِّمات السيادة ، وعندنا القوَّة ولكننا لم نوظِّفها للأسف ، فلا عجب أن نمدَّ يدنا إلى غيرنا ، لو أننا تعاملنا مع الغرب بالنديِّة ، أي نعطيهم ويعطوننا ، ونأخذ منهم ويأخذون منا ، فلا مانع أبدا من هذا ، بل هذا من الانفتاح الذي تكلَّمنا عنه.

لكن ـ للأسف ـ نحن مازلنا في حالة يُرثى لها ، نحن في عصر الصناعة الثالث الآن ، فعصر الصناعة الأول كانت توفِّر فيه الآلة الجهد العضلي ، ثم جاء العصر الثاني عصر الكمبيوتر ، توفر فيه الآلة الجهد العقلي للإنسان ، ونحن الآن في عصر الصناعة الثالث عصر الثورات العلمية ، عصر الثورة التكنولوجية ، والثورة البيولوجية ، وهندسة الجينات ، وعصر ثورة الاتصالات ، وعصر الثورة الفضائية ، وعصر الثورة الإلكترونية ، وعصر ثورة المعلومات ، أين نحن من هذا كلِّه؟ نحن للأسف في المؤخِّرة بعد أن كنا في المقدمة ، ولا حلَّ لهذا إلا أن نحسن الفَهم للإسلام ، ونحسن العمل بالإسلام ، والعمل للإسلام .

من المسؤول عن ضعف المسلمين؟

السؤال : هل العيب في المسلمين؟ أم العيب فيمن يحكم المسلمين؟

الجواب : لا شك أن المسؤوليَّة الأولى هي على الحكَّام ، ولكن هذا لا يُعفي الشعوب ، لأن الحكَّام هم حرَّاس على الشعوب ، وهم إفراز المجتمعات أيضًا .

الناس يقولون : يا فرعون مَن فرعنك؟ قال : ما وجدتُ أحدًا يردُّني. الناس هي التي تصنع الفراعنة ، فلا بدَّ أن تتحمَّل الشعوب قدرًا من المسؤولية ، والنبيُّ ﷺ قال هذا ، قال : « كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسئولٌ عن رعيَّته »[1] .

عادة كلُّ فئة تحاول أن تُحَمِّل المسؤولية لغيرها ، فبعض الناس يقول : المسؤولية على العلماء ، فالعلماء لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ، ولا يقولون كلمة الحقِّ ، وهذا صحيح ، العلماء مسؤولون لكن ليسوا وحدهم المسؤولين ، فالعالِم وحده ضعيف ، ومتى يكون العالم قويًّا؟ إذا كان وراءه شعبٌ قويٌّ .

والبعض يقول : الحكام هم المسؤولون . والحقيقة أن الجميع مسؤولون ، وكلُّ واحدٍ مسؤوليتُه على قدْر مُكْنته ، وعلى قدر ما آتاه الله ، فمسؤولية العالم أكبر من مسؤولية الجاهل ، ومسؤولية الغني أكبر من مسؤولية الفقير ،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣) ، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩) ، كما رواه أحمد (٤٤٩٥) ، عن ابن عمر.

ومسؤولية الحاكم أكبر من مسؤولية المحكوم ، كلٌّ واحد مسؤوليته على قدْر ما آتاه الله ، والأمة كلُّها مسؤولة .

فهل نجلس ونقول الحُكَّام هم المسؤولون؟ إنَّنا نحن الذين صنعنا الحكام ، ونحن الذين صفَّقنا لهم ، ونحن ساكتون على ما يكون منهم ، لا بدَّ أن يعيَ الشعب ، ويعرف قدر ما عليه في هذه القضية .

حكم دخول غير المسلمين مساجد المسلمين :

السؤال : إذا رضي الغرب بشروط الانفتاح ، فهل نقبل زيارتهم للمساجد والبيوت المقدَّسة؟ وإذا لم يرضَ فهل هناك سلاحٌ آخر نحاربهم به؟

الجواب : النبيُّ ﷺ سمح لأهل نجران أن يدخلوا مسجده ، وفرش لهم عباءته ، وجاء وقت صلاتهم فسمح لهم ﷺ أن يقيموا الصلاة في مسجده[1] .

يقول الإمام ابن القيم : إنَّ دخولهم المسجد جائز ، بشرط أن لا يكون هذا أمرًا دائمًا[2] . يعني في مناسبةٍ مُعيَّنة يجوز لهم هذا ، فيجوز أن يزوروا المسجد ، إذا كان فيه الخليفة أو القاضي أو أمير البلد ، لكن لا يجوز أن نعمل المسجد ـ

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٥/٥٦).

(٢) أحكام أهل الذمة (١/٤٠٦).

كما في بعض البلاد ـ مُتْحفًا يدخله الكاسيات العاريات المائلات المميلات ، فلم يُبْن المسجد لهذا .

ثمَّ إنَّ الحكم بجواز دخولهم مساجد المسلمين أو عدمه لا علاقة له برضاهم بالانفتاح أو عدم رضاهم ، فلهم ولغيرهم من غير المسلمين أن يدخلوا المساجد بالشرط المذكور ، سواء رضوا بالانفتاح أم لم يرضَوا .

حكم قيام الليل جماعة :

السؤال : ما رأيكم في إخوة يقومون الليل جماعة خلال أيام الأسبوع ، هل يجوز لهم ذلك أم لا ؟

الجواب : لا شك أن قيام الليل من أعمال الصالحين ، فالله تعالى يصف عباد الرحمن فيقول : ﴿ **وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا** ﴾(الفرقان:٦٤)، ويصف المتَّقين المحسنين فيقول : ﴿ **كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ (الذاريات:١٧،١٨)، فقيام الليل مشروع ، لكن القيام الجماعي والالتزام به ، لم يرد عن النبي ﷺ ، ولا عن الصحابة إلا في رمضان ، لكن يجوز أن يفعل ذلك بعض المسلمين في بعض الليالي ، ولكن لا يلتزمونها.

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى : لا يكون قيام الليل هذا سببًا في تعطيل الإنسان عن عمل النهار ، فبعض الناس

يقومون الليل ، أو يصومون الاثنين أو الخميس ، ويذهب إلى عمله متثاقلاً متباطئًا مُتْعبًا ، لا يكاد يؤدِّي عمله ، فيقصِّر في عمله الواجب عليه،ومعنى هذا أنه يؤدِّي نافلة ويُضيِّع فريضة، ولا يجوز لإنسان أن يُضيِّع فريضة بنافلة .

ومن القواعد المتَّفق عليها عند العلماء : إنَّ الله لا يقبل نافلةً حتى تُؤدَّى الفريضة[1].

ومن أقوال السلف في ذلك : مَن شغله الفرض عن النَّفل فهو معذور ، ومَن شغله النَّفل عن الفرض فهو مغرور[2].

فلا بد أن يراعي المسلم هذه القاعدة .

حكم العمل بتنظيف زجاجات الخمور :

السؤال : أنا عامل نظافة في الشارع ، ونضْطرُّ لنظافة العلب والزجاجات الفارغة من الخمور ، وكذلك الغائط والكلاب ، وكل النجاسات ، فما هو رأي فضيلتكم في هذا العمل؟

الجواب : هذا عملٌ طيبٌ ، فهو يقوم بالنظافة ، والنظافة عندنا نحن المسلمين نعدها من الإيمان ، والحديث الصحيح

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في زهد الصحابة (٣٥٥٧٤) ، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١١٤) ، عن أبي بكر .

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٤٣/١١).

عندنا يقول : « الطهور شطر الإيمان »[1] أي : الطهارة نصف الإيمان. والله تعالى يقول : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ (المدثر:٤) ويقول الرسول ﷺ : « إماطة الأذى ـ ومنه النجاسة ـ عن الطريق صدقة »[2]، فكونه يجد علب الخمر ونحو ذلك من النجاسات، فهو ليس مسؤولاً عن هذا ، وليس فيه أيُّ حرج ، إنما يريح الناس من أذاها ، بل بالعكس هو يقوم بعمل طيب وشريف فعلا ، وما يكتسبه منه حلال ، وليس فيه أدنى شك.

آفة السرقة من متاجر غير المسلمين :

السؤال : انتشرت في هذه السنوات خاصَّة في بريطانيا ظاهرة السرقة من ممتلكات الغير (متاجر غير المسلمين) ، بحُجَّة أنها غنيمة ، علمًا بأنَّ هذه الآفة الخطيرة قد تسرَّبت لبعض الشباب المسلم ، فما هو واجب المسلمين عامةً ، والشباب المسلم خاصَّة ، تجاه هذه الظاهرة؟

الجواب : هذه ظاهرةٌ خطيرةٌ جدًّا ، ولا يجوز أبدًا أن تصدر من مسلم ، الإسلام رسالة أخلاقية ، ولا يُفرِّق الإسلام

---

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٢٣) ، وأحمد (٢٢٩٠٢) ، عن أبي مالك الأشعري .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في الجهاد (٢٩٨٩) ، ومسلم في الزكاة (١٠٠٩) ، كما رواه أحمد (٨١٨٣) ، عن أبي هريرة .

في أخلاقيَّاته بين قوم وقوم ، الغنيمة تكون في حالة الحرب ، ولحالة الحرب أحكامها ، أما أنت الآن دخلتَ بلدًا بأمان ، فأنت مُستأمَنٌ فيها ، ودخلتَ بعهد ، وعليك أن تحترم النظام العام في البلد ، ولعلك لا تستطيع أن ترجع إلى بلدك ، بينما أنتَ تعيش في هذه البلاد بحرية ، فلا بدَّ أن تحترم هذه البلاد ، وتحترم العهد الذي أعطيتَه لها ، حينما أعطتْك تأشيرة الدخول للزيارة أو الإقامة ، فالوفاء بالعهد خلقٌ من أخلاق الإسلام .

اليهود هم الذين يستحلُّون الأمم الأخرى ، كما حكى القرآن ذلك : قال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران:٧٥)، والتلمود يعلِّمهم أن أعراض الأمم وأموالهم وحرماتهم كلَّها مُستباحةٌ ، لكن عندنا نحن المسلمين لا يحلُّ لنا ذلك ، وليس عندنا ما في (الفلسفة الميكافيلية) : أنَّ الغاية تبرر الوسيلة. ليس عندنا هذا أبدًا ، فلا يجوز لمسلم أن يسرق مالاً ليعطيه للفقراء ، أو يأخذ مالاً بالربا ليبني به مسجدًا ، لا يجوز هذا ، « إنَّ اللهَ طيِّبٌ لا يَقبَلُ إلاَّ طيِّبًا »[1].

---

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٥) ، وأحمد (٨٣٤٨) ، والترمذي في التفسير (٢٩٨٩) ، عن أبي هريرة .

الإسلام يعمل على شرف الغاية وطُهْر الوسيلة ، لا يرضى إلا بالغاية الشريفة ، والوسيلة النظيفة ، ولا يرضى الوصولَ إلى الحق بطريق الباطل ، فنحن نرفض هذه الفكرة ونُنْكرُها ونُحرِّمُها ،ولو شاع عن المسلمين أنَّهم يستحلون أموال الغير ، وممتلكات الغير ، لكان ذلك صارفا لغير المسلمين عن الإسلام .

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

obeikandl.com

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الانفتاح على الغرب مقتضيات وشروط	٣
الإسلام دينٌ عالمي	٤
تحفظاتٌ في التعامل مع الغرب	٥
مقتضيات الانفتاح	٧
البشرية أسرة واحدة	٧
الأُخوَّة الوطنيَّة والقوميَّة والإنسانيَّة	٩
التعارف لا بد منه بين الشعوب والقبائل المختلفة	١١
الإسلام دعوة عالمية	١٢
الإسلام حرَّر البشر من العبوديَّة لغير اللَّه	١٢
المسلمون مسؤولون عن ضلال الأمم	١٣
المسلمون مطالبون بالحوار	١٤
خطاب القرآن للمشركين	١٥
نظرةٌ خاصَّةٌ لأهل الكتاب	١٦
حزن المسلمين عند انهزام الروم	١٧
ضرورة التعايش بين الناس في عصر التقارب	١٨
شروط الانفتاح	٢٠
أولا : أن يتخلى الغرب عن عداوته للإسلام	٢٠
مخاوف الغرب من صحوة الإسلام	٢١
حوار الحضارات لا صراع الحضارات	٢٢

obeikandl.com

الخطر الأخضر ٢٢
ثانيا : أن يتخلَّى الغرب عن أطماعه فينا ٢٣
ثالثا : أن يتخلَّى الغرب عن استعلائه علينا ٢٤
ليس من الخير أن يَحْكُم المتحلِّلون بلاد الإسلام ٢٥
رابعا : الاعتراف برسالتنا وذاتيَّتنا ٢٦
التسامح اختراع إسلامي ٢٦
أساس التسامح عند المسلمين ٢٧
اختلاف الناس ٢٧
الله يحكم بين الناس في الآخرة ٢٧
مكانة الإنسان في الإسلام ٢٨
الإسلام جاء بالعدل لكل الناس ٢٨
الأسئلة ٣٠
موقف الإسلام من الكفَّار ٣٠
من الكفار مسالمون ومنهم محاربون ٣١
وجوب اكتفاء الأمة الإسلامية ذاتيًّا ٣٣
أُمَّةُ سورةِ الحديد لا تُحْسِن صناعة الحديد ٣٣
وجوب تكافل المسلمين فيما بينهم ٣٤
حكم دخول غير المسلمين مساجد المسلمين ٣٧
حكم قيام الليل جماعة ٣٨
حكم العمل بتنظيف زجاجات الخمور ٣٩
آفة السرقة من متاجر غير المسلمين ٤٠
الفهرس ٤٣

obeikandl.com